

الكشاف

إن أرادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى " شركاؤنا " آلهتنا التي دعوناها شركاء . وإن أرادوا الشياطين فلأنهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي : و " ندعو " بمعنى نعبد فإن قلت : لم قالوا : " إنكم لكاذبون " وكانوا يعبدونهم على الصحة ؟ قلت : لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة . والدليل عليه قول الملائكة " كانوا يعبدوا الجن " سبأ : 41 ، يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهاً عن الشريك . وإن أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكون كاذبين في قولهم " إنكم لكاذبون " كما يقول الشيطان : إني كفرت به أشركتموني من قبل " وألقوا " يعني الذين ظلموا . وإلقاء السلم : الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا " وضل عنهم " وبطل عنهم " ما كانوا يفترون " من أن الله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم .

" الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون " .
" الذين كفروا " في أنفسهم وحملوا غيرهم على الكفر : يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم . وقيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفاً . وقيل : يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار " بما كانوا يفسدون " بكونهم مفسدين الناس بصددهم عن سبيل الله .

" ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين " .
" شهيداً عليهم من أنفسهم " يعني نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم " وجئنا بك " يا محمد " شهيداً على هؤلاء " على أمتك " تبياناً " بياناً بليغاً ونظيراً تبيان تلقاء في كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن . فإن قلت : كيف كان القرآن تبياناً " لكل شيء " ؟ قلت : المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله ﷺ وطاعته . وقيل : وما ينطق عن الهوى . وحثاً على الإجماع في قوله : " ويتبع غير سبيل المؤمنين " النساء : 115 ، وقد رضي رسول الله ﷺ لأئمة اتباع أصحابه والافتداء بآثارهم في قوله A : " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبياناً لكل شيء .

" إن ا ﻻ يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى لعلمكم
تذكرون " .

العدل هو الواجب لأن ا ﻻ تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم
" والإحسان " النذب وإنما علق أمره بهما جميعا لأن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط
فيجبره النذب ولذلك قال رسول ا ﻻ A لمن علمه الفرائض فقال : وا ﻻ لازدت فيها ولا نقصت : "
أفلح إن صدق " فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال A : " استقيموا ولن
تحصوا " فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل . والفواحش : ما جاوز حدود
ا ﻻ " والمنكر " ما تنكره العقول " والبغى " طلب التناول بالظلم وحين أسقطت من الخطب
لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي Bه أقيمت هذه الآية مقامها . ولعمري إنها كانت
فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف ا ﻻ لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا إجابة لدعوة نبيه : " وعاد من
عاداه " وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون .

" وأوفوا بعهد ا ﻻ إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم ا ﻻ عليكم
كفيلا إن ا ﻻ يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون
أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم ا ﻻ به وليبينن لكم يوم
القيامة ما كنتم فيه تختلفون "